



المصدر: الأهرام — رام

التاريخ: ١٩٧١/١١/٧

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

يكتبها محمد حسنين هيكل

بصراحة

أحاديث السفر

العام الحاسم... ومركز السادات

سئلت في بداية مناقشة واسعة دارت في قاعة الاجتماعات بجريدة التيمس في لندن :

— هل كان الرئيس انور السادات تحت ضغط معين عندما اعلن ان سنة ١٩٧١ يجب ان تكون سنة حاسمة بالنسبة لحل ازمة الشرق الاوسط ان سلما وان حربا ، وهل يتأثر مركزه في مصر وفي العالم العربي اذا لم يحصل على حل خلال الفترة الباقية من هذه السنة ؟

كان الجالسون امامي نخبة من كبار محرري ومعلمي وخبراء هذه الصحيفة العتيقة التي مازالت — رغم كل ما تمر به من صعاب — من أهم المؤسسات السياسية في الحياة البريطانية وكنت قد تلقيت تنبيها عما هو منتظر في المناقشة من صديق لقيته امام مبنى التيمس في « برينتنج سكوير » ، وبينما انا انزل من السيارة التي حملتني اليه واتطلع مرة أخرى الى النصب الرمزي الملم الذي صنعه الفنان الشهير « هنري مور » تعبيرا عن انطلاقة الانسان نحو الحرية

... امام النصب الرمزي لانطلاقة الانسان نحو الحرية اقبل ذلك الصديق يقول لي :

— انت في طريقك الان الى المناقشة ... كان بالامس هنا قبلك شيمون بيريذ وزير شؤون الاراضي المحتلة في اسرائيل ، والذي يعتبر هو وموشي ديان أبرز تلاميذ مدرسة دافيد بن جوريون واقرب الخالصاء والاصفياء اليه



لقد تحدثت بالأمس قبلك في نفس القاعة ، والدور عليك اليوم لوجهة النظر الأخرى ، لأن هيئة تحرير التيمس تريد أن تضع نفسها في الصورة بالنسبة لآخر تطورات الازمة »

وكانت بداية المناقشة هي ذلك السؤال الذي اوردته قبل لحظة

وقلت :

— اننى بداية ، لا اعتقد ان الرئيس انور السادات كان تحت ضغط « معين » وهو يتحدث عن العام الحاسم ...

لقد كان تحت ضغط ... ولكن هذا الضغط يجيء من داخل نفسه بالدرجة الاولى وذلك بحكم ما يعتمل في كيانه كوطنى مصرى ، وكقومى عربى ، يرى اجزاء كبيرة من التراب المصرى والعربى تحت الاحتلال الاسرائيلى فترة اربع سنوات ونصف السنة ذلك وضع له فى حد ذاته ضغط مخيف على كل كيان فوق ارضنا

والرئيس السادات شأنه فى ذلك شأن غيره من الذين يعانون المحنة ويحلون ويعملون من اجل يوم يستطيعون فيه تصحيح آثارها — يعتقدون ، ولهم الحق ، بأنهم تاريخيا أصحاب النصر فى الصراع الدائر الان ، لان اسرائيل تاريخيا لا يمكن ان تنتصر فيه .

قد تنتصر اسرائيل فى معركة او اثنتين او ثلاث على مجرى هذا الصراع التاريخى ولقد ينسب هذا النصر الى مساعدات خارجية تلقتها ، او الى تفوق تكنولوجيا حصلت عليه ، ولكن الى متى ؟ !
نقول لنا عبرة الايام ان القوى العظمى « ليست لها صداقات دائمة ولكن لها مصالح دائمة » وهى على استعداد للتخلى



مركز الأبحاث للتخطيط وتكنولوجيا المعلومات

لحظة في التضحية بصديق العمر
ورفيق الوهم الماريشال شيانج
كاي شيك ، ولم تكن المحاولات
الأمريكية لآظهار الآسى والفضب
من نتيجة التصويت فى الامم
المتحدة الا برقعا يستر وجهه
الخبل مع ان البرقع كان ممزقا
كما ان الاحتقان كان شديدا
تتقد حمرة من وراء اى قناع
ان الولايات المتحدة لم تفاجأ
بنتيجة التصويت الذى جرى فى
الامم المتحدة ، ولكنها كانت قد
ارغمت بقوة الصين النامية على
التخلى عن الاصدقاء القدامى فى
مقابل المصالح المتغيرة

والدليل الكبير على ذلك ان
« هنرى كيسنجر » مستشار
الرئيس الأمريكى لشئون الامن
القومى وهو المهندس الاول
لسياسته والمشرف على تنفيذها
كان فى بكين وقت التصويت
يرتب لزيارة نيكسون القادمة
للعاصمة الصينية ، وكان على
ويليام روجرز وزير الخارجية
المسكين ان يتمم بكلمات غضب
تستر وتغطى لعل الباقيين من
اصدقاء الولايات المتحدة
لا يتصورون انها على استعداد
لان تباع اى واحد منهم عند
شاطيء النهر — كما يقولون —
اذا تلقت فيه عرضا مناسباً
واسرائيل اليوم صديقة
للولايات المتحدة بمثل ما كان
« شيانج كاي شيك » صديقا

بقسوة عن الصداقات اذا ما
تغيرت المصالح والدليل امامنا
اليوم هو « الماريشال شيانج كاي
شيك » الذى فقد دعواه فى تمثيل
الصين فى الامم المتحدة بعد ان
ابقت الولايات المتحدة بارادتها
— وضد ارادة القانون الدولى
بل والمنطق العادى — اكثر من
عشرين سنة قابعا على احد
المقاعد الدائمة فى مجلس الامن
بخرافة انه وهو المطرود الى
فورموزا ما زال رسمياً — فى
نظر أمريكا !! — الممثل الوحيد
لشعب الصين الذى يمثل ربع
سكان العالم

ان الولايات المتحدة حاولت ان
تصور التصويت على دخول
الصين الشعبية الى الامم المتحدة
والى العضوية الدائمة فى مجلس
الامن على أساس انه كان هزيمة
لها فى المنظمة الدولية ...
ولقد كانت هناك هزيمة
للولايات المتحدة بالفعل ، ولكن
هذه الهزيمة جرت هناك على
الارض الآسيوية وعلى مدى
سنوات عديدة ولم تجر هناك فى
كواليس الامم المتحدة وخلال
عملية عد الاصوات

ان الصين، برغم كل محاولات
الحصار والاحتواء الأمريكى ،
جعلت من نفسها قوة عظمى
وعندما جاء الوقت الذى
اضطرت فيه الولايات المتحدة الى
الاعتراف بالحقيقة ، لم تتردد



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

اي ان الحصول على التكنولوجيا واستيعاب منطقتها العلمي والتقدم بها وعلى اساسها ليس امرا صعبا بل هو ممكن ان يريد ان يتعلم وان يتعلم بجد والتكنولوجيا في النهاية : تنظيم علمي ، وبشر مستعد ، وموارد تتحمل

وليس ذلك كله بعيد المثال عن دنيا العرب خصوصا اذا هدات الانفعالات قليلا وزاد الفعل اكثر

اريد ان اقول ان العرب يشعرون - وبحق - انهم المنتصرون - تاريخيا - في الصراع الدائر الان في الشرق الاوسط

في صالح اسرائيل على المدى القصير : تفوق مؤقت : بصداقة الولايات المتحدة وبفوق تكنولوجيا ملحوظ

وفي صالح العرب على المدى الطويل : امكانية ما هو اكثر من التفوق ... امكانية السيادة المطلقة اذا جاز لي استعمال هذا التعبير

واذن امامنا هذه اللحظات ثلاثة اعتبارات :

١ - قلق عربي من المستقبل القريب ... وثقة عربية في المستقبل البعيد

٢ - ثقة اسرائيلية في المستقبل القريب ... وخوف اسرائيلي شديد من المستقبل البعيد

لها ، واذا استطاع العرب ان يصنعوا معجزة القوة التي صنعتها الصين فلا اشك ان الولايات المتحدة سوف ترغم في يوم من الايام على التخلي واذا فانه اذا كانت اسرائيل قد انتصرت على العرب في معارك بفعل التأييد الامريكي فان هذا التأييد الامريكي ليس دائما ... وانما الدائم هو المصالح الامريكية فقط ، والمعيار الحاسم هنا ان توجد القوة العربية التي تستطيع ان تحقق وان تفرض عنصر الارغام من هنا فان التأييد الامريكي ليس سلاحا ابديا في يد اسرائيل ، وهذه عبرة الايام ...

بعد عبرة الايام تجيء نتيجة التجارب

ان اسرائيل بالقلّة القليلة ، انتصرت على العرب وهم الكثرة الكثيرة ، لان العرب كانوا كما بغير كيف ، وهذا هو العنصر الذي يقال عنه « التفوق التكنولوجي لاسرائيل »

لكن نتيجة التجارب - بعد عبرة الايام - تعلمنا ان التكنولوجيا ليست طلسم يقتصر سرها على شعب دون غيره من الشعوب والدليل مرة اخرى من الصين التي قفزت في عشرين سنة من دولة متخلفة تاكلها المجاعات الى واحدة من القوى الذرية العظمى في زماننا



ولما كانت منطقتنا من العالم هي قلب الميزان الدولي - فان ما يحدث فيها لا يمكن عزله عن حركة هذا الميزان الدولي الذي تستحيل معه الحرب العالمية واذن فان الحسم بمبضع الجراح مرة واحدة شبه مستحيل الحسم السياسي في عصرنا يسير في طريق طويل ... وهناك مسافة شاسعة تصل بين الخطوة الاولى والخطوة الاخيرة

بمعنى ان ما اتصوره في منطقتنا هو شيء شبيه بما يحدث في جنوب شرقي آسيا

عملية الحسم هناك في مسارها ولكنها وفق حقائق العصر لا تجرى بالجراحة تستأصل مرة واحدة

طريق طويل حافل بالمصادمات العسكرية والواجهات السياسية والاتصالات المستمرة في السر والعلن

طريق طويل عبر الخنادق المظلمة وحتى قاعات الاجتماعات المضيئة ، من الغابات الموحشة وحتى موائد المناقشات الهادئة او الهائجة

بالمدافع والدبابات والطائرات ... وبالكلمات والمذكرات والاتصالات

وخطوة بعد خطوة تتحرك الامور وتسرى التأثيرات كأنها تسرب الماء يحدث بالتآكل فعله ،

٣ - في نفس الوقت فان واقع وجود ارض عربية تحت الاحتلال الاسرائيلي يحدث بتناقضه مع التاريخ نفاذ صبر لا يحتمل ، الى جانب مهانة الاحتلال ، والى جانب الخشية من ان يضىف مرور الايام على الامر الواقع الراهن ، تشكل الوضع المألوف عالميا .

.....

هذه عوامل الضغط التي يتعرض لها الرئيس انور السادات ، وهو في التعرض لها شريك لعشرات الملايين من امة العرب «



قلت للجالسين امامي في قاعة الاجتماعات في الجريدة البريطانية العريقة :

- نجى الى مسألة الحسم ان الحسم الذي نقصده -

اذا لم اكن مخطئا - ليس هو الوصول الى الخطوة الاخيرة ، ولكنه القرار بالخطوة الاولى ان العصر الذي نعيش فيه له حقائقه

واولى حقائق عصرنا هي استحالة الحرب العالمية ، ثم ما يتداعى عن ذلك من آثار بعيدة .



مركز الأهرام للتعليم وتكنولوجيا المعلومات

ترون هي ان العدو لا يريد ان يتحزح من موقعه شبرا واحدا ساعتها سوف يكون في وسع الرئيس السادات - ومن حقه وواجبه - ان يطلب من جيشه اقصى حد من التضحيات ، وان يطلب من شعبه اقصى حد من التحمل ، وان يطلب من امته اقصى حد من المشاركة

عناد اسرائيل سوف يكون هو نفسه ساعتها اكبر حافز للروح المعنوية لدى قوات مصر المسلحة ، واكبر مفجر لطاقت شعب مصر ، واكبر دافع يحرك الى عمل عربى موحد على اوسع نطاق

ان عناد اسرائيل - على هذا النحو - سوف يكون العامل الذى يصنع القوة القاهرة على كسره ، ولمثل هذا سوابق عديدة فى التاريخ قديمه وحديثه
لماذا ؟

لان الامر قد وصل الى النقطة التى لا يستطيع ان يناقش فيها عربى وهي نقطة الارض ان كل القضايا الاخرى ثلاثت وتبخرت ولم يبق فى المساحة غير نقطة الارض المحتلة ، وهل تعيدها اسرائيل او تضمها اليها كلا او جزءا .
وامام هذه النقطة يتوقف كل كلام .

لا يوجد على الارض العربية من يستطيع ان يسلم لاسرائيل بارض

وعندما تجيء لحظة انهيار الجبل ، فان انهياره يبدو امام مشاهديه امرا عاديا فى تداعى التطورات تماما كما يبدو الآن دخول الصين الى الامم المتحدة ، وكما تبدو الآن حتمية خروج الولايات المتحدة من جنوب شرقى آسيا .

اريد ان اقول ان الحسم فى العصر الحديث ليس مغامرة ، ولكن قرار

قرار بالسير فى طريق طويل ... قرار بالخطوة الاولى نحو هدف يجب له الا يفتب عن نظر اصحابه حتى وان لقوا وداروا فى طريقهم اليه «



قلت للجالسين امامى :
- تبقى النقطة الاخيرة فى سؤالكم وهي : هل يتاثر موقف الرئيس السادات اذا لم يصل الى حل ؟
واقول :

- اذا كان هناك تاثر فهو بالقوة وليس بالضعف وهو بالزيادة وليس بالنقصان ...
لماذا ؟

لانه سوف يكون فى وسع الرئيس السادات - وسجل ما فعله شاهد له - ان يقول لشعبه ولامته : اننى حاولت على كل طريق ، وجربت كل السبل لم اترك منها دربا بغير استكشاف ... والنتيجة كما



وهناك حول الارض نظريتان:

► **نظرية تقول:** ان اسرائيل لا تريد شيئا من الاراضي المصرية ، وهي على استعداد للانسحاب منها الى آخر شبر لان اسرائيل تريد ان تفض الاشتباك مع مصر بكل امكانياتها الحالية والمحتملة

بمعنى انها لا تريد ان تظل في اشتباك مع الشعب الوحيد من شعوب الامة العربية القادر - بسنكانه وبزراعته وصناعته وعلمه وبقية طاقاته المادية والحضارية الاخرى - على مواصلة الصراع معها وان طال عشرات السنين .

تؤثر - بدلا من ذلك - أن تصل الى اخراجه من المعركة في الجبهة الغربية لكي تنفرد هي بالعمل في الجبهة الشرقية حيث المجال فسيح وقوى الصدام معها محدودة

لكنها بما تقبض عليه الان من الارض المصرية تريد ان تضغط على شعب مصر لكي يضع توقيعه على وثيقة تطلق يدها في اراضي الشرق

اي انها تسعى وراء عملية مقايضة

الإفراج عن الارض المصرية في الغرب في مقابل الاحتفاظ ببقية الارض العربية في الشرق

واعترف انني شخصيا اميل الى ان هذه بالفعل هي النظرية الاسرائيلية التي تجرى ممارستها الان ، وهي لا تحقق لاسرائيل ما تريده فقط ، ولكنها تحقق لغيرها هدفا طالما سعوا اليه وهو هدف : عزل مصر عن العالم العربي

► والنظرية الثانية تقول :

ان اسرائيل تريد اجزاء من الارض المصرية ايضا ، على الاقل شرم الشيخ وشريط ساحلي يمتد من ايلات على رأس خليج العقبة الى قاع هذا الخليج ومدخله عند شرم الشيخ

والذين يرون هذه النظرية يقولون ان هدف اسرائيل من ورائها ليس مجرد تأمين الملاحة في خليج العقبة وانما الهدف ابعد من ذلك استراتيجيا لان وجود مطار اسرائيلي عند شرم الشيخ يكفل للطيران الاسرائيلي من اقصى جنوب سيناء سيطرة كاملة حتى مداخل البحر الاحمر

وايا كان وجه القطع بين هاتين النظريتين في المخطط الاسرائيلي - فان مصر في كلتا الحالتين لا تستطيع :

► لا تستطيع ان توقع على صك يمنح اسرائيل اراضي عربية في الشرق لان مصر لا تملك هذا مبدئيا او قوميا او حتى اخلاقيا



▶ ولا تستطيع ان توقع على
صك يمنح اسرائيل ارضا مصرية
تسلخ قطعة من ارض اعرق وطن
امة في التاريخ



وبعد النقاش الطويل وجدت
نفسى جالسا في مكتب لورد
طومسون صاحب جريدة التيمس
وصاحب اكثر من مائة صحيفة
غيرها نتحدث في نفس الموضوع
وقال لى لورد طومسون :

— لقد حاول « شيمون بيريز »
ان يقول لنا بالامس انه في وسع
العرب ان يخسروا معركة واثنين
وثلاثا ومع ذلك يستمر وجودهم
... واما اسرائيل فانه ليس
بوسعها ان تخسر معركة واحدة
والا خسرت معها وجودها كله

ذلك في رايه هو تفسير
التشدد في موقف اسرائيل
انها لا تستطيع ان تخسر
معركة «

وقلت للورد طومسون :
— اننى اتفق في التحليل
واختلف في النتيجة التي رتب
عليه

انا بالفعل نستطيع تحمل
خسارة معركة واثنين وثلاث
ومع ذلك نواصل وجودنا .
واسرائيل لا تستطيع تحمل
خسارة معركة واحدة لانها
لاستطيع بعد ذلك ان تواصل
وجودها .

لكن التشدد ترتبنا على ذلك
في رايى يصبح نوعا من الجنون
او طلب الانتحار

لانه لم يحدث في التاريخ ان
طرفا من الاطراف كسب كل
المعارك ، خصوصا اذا كان في
حربه ضد تيار التاريخ «

محمد حسين هيكل